



سلسلة محاضرات
١

وَمَا أُبْرِي نَفْسِي

علي زين العابدين بن عبدالرحمن الجفري

مُبَادِرَاتُ طَابَةِ
TABAH INITIATIVES
www.tabahinitiatives.org

مسلسل رقم (١) ٢٠١٩

محاضرة رقم (١)



سلسلة محاضرات (١)

وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي

علي زين العابدين بن عبد الرحمن الجفري



أصل هذا الكتاب

محاضرة في مركز الشيخ محمد بن خالد آل نهيان الثقافي

العين - دولة الإمارات العربية المتحدة

٣٠ ديسمبر ٢٠٠٢

إعداد: عبد الكريم بن عمر الخطيب

محمد بن عمر بن سميط

مراجعة: محمد بن علي الجفري



الحمد لله الكريم المنان ، قديم الإحسان ،
 الرحيم الرحمن ، الذي خَلَقَ الإنسان وعَلَّمَهُ البيان .
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛
 شهادةً ترسُخُ بأنوارِها في قلوبنا حقائقُ الإيمان ،
 ونرقى بها في مراتب الإسلام والإيمانِ
 والإحسان ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده
 ورسوله المصطفى من عدنان ، وأكرم إنسان ، مَنْ
 الله تعالى به على الخلق فيما يكون وما قد كان ،
 صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه
 والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد..

فمِنَ عجائبِ حُسْنِ تَدْبِيرِ اللَّهِ ﷻ فِي هَذِهِ



الليلة المباركة وهذا الجمع الكريم أنه لما وقع الاختيار على هذا الاسم لهذه المحاضرة ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي﴾ كان الترتيب السابق أن تكون المحاضرة في مركز الشيخ محمد بن خالد، وأن تكون المحاضرة للنساء، ثم لما جاء الطلب وتكرر من جماعة من الرجال بأن يفسح لهم مجال الحضور، تقرر ذلك. وتأملتُ العنوان، وكان الذي يخطر على البال ربط القلوب بعبارة مما جرى من قصة زليخة امرأة العزيز التي جاء هذا البيان على لسانها في كتاب الله ﷺ ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

✽ اختلاف أهل العلم باب لسعة الفقه..

فلما يسر الله هذا الجمع للرجال والنساء في



هذه المحاضرة؛ تذكرت أن للعلماء كلاماً في نسبة هذه المقولة، فقد ذهب جمع من أهل التفسير بأن المقولة كانت على لسان سيدنا يوسف عندما أظهر الله الحق وبراءته، وأوردوا في تأييد هذا روايات.

وذهب جمع آخر كان لهم نظرٌ بشيءٍ من العمق في مجريات تسلسل ما حكته الآيات أن التي قالت هذه الكلمة هي زليخة، وقد حضر في هذا الجمع الرجال والنساء فكان فيه جمعٌ للقولين، فالمقولة كما ذكر بعض العلماء وجمعٌ من أهل التفسير صدرت من لسان رجل وهو سيدنا يوسف، وعلى القول الآخر من لسان امرأة وهي زليخة. وفي هذا التنوع والاختلاف بين العلماء من السلف رحمهم الله تعالى حول نسبة

هذه المقولة فَتُحُ بابٍ واسعٍ لنا للفقهِ عن الله ،
وفهْم مهمتنا تجاه أنفسنا لتستقيم مهمتنا تجاه
وجودنا الذي نعيش فيه .

❖ الاضطراب في الصلة بالنص يرجع للهوى ..

ففي أول الأمر ينبغي أن نفقه أن اختلاف
الأقوال بين العلماء رحمهم الله تعالى ليس بشيء
سيءٍ أو سلبي للأمة ، وإنما السوء في ضيقِ الفهم
عند بعض مَنْ يقرأ كلامَ العلماءِ ليأخذَ بطرفِ قولٍ
فِيَحْمِلَ الحَقَّ كُلَّهُ على هذا القول ولا يقبلُ قولاً
سواه ، أو يكون السوءُ عندَ الذي يقرأ ويطلع كلامَ
العلماءِ واختلافَ أقوالهم ليأخذَ ما تميلُ إليه نفسه
وتهواه من قول هذا ، وما تميلُ إليه نفسه من قول
الآخر ؛ ليلفَقَ مسلِكاً يتناسبُ مع هوى نفسه



وشهواتها؛ فيعبد الله وَجَعَلَ على حالٍ مِنَ الغش
لنفسه والعياذ بالله تعالى مِنْ ذلك؟

فليس السوء أو الخطأ أو التقصير في تعدد أقوال
العلماء أو اختلاف مفاهيمهم، وإنما يحصل
الخطأ في طريقة الإنصات أو المطالعة، إما تعصباً
لقولٍ بهوى، وإما تساهلاً في تلفيق الأقوال أيضاً
بهوى، وإذا تأملتُم هذا المعنى، أدركتم خطر
الهوى إذا نازل الإنسان وغلب عليه، وأدركتم
أهمية هذا العنوان ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٣].

إن الاضطراب الذي تعيشه الأمة اليوم في
شأن صلّتها بالنصوص الواردة في كتاب الله وَجَعَلَ،
وفي سنة حبيبهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لا يرجع
إلى النصوص ولا إلى نقلتها ولا إلى العلماء

الذين تكلموا فيها، وإنما يرجع إلى الأهواء في تأمل النصوصِ والوقوفِ معها، فإذا غلبت الأهواء على النفوس وأخذت مأخذها حادت بالإنسان عن فهم الحق إلى الباطل، وإذا تحققت معرفتنا بهذا المعنى ولجنا إلى المقصود من هذه الليلة ومن هذا الاجتماع..

❁ بداية القصة..

زليخة.. جاء أنها كانت من بنات الملوك من المغرب، وكانت قد تفوّقت على نساء عصرها في الحسنِ والجمال، وتعلقتُ بها أعين الخُطّاب من الأعيان، وكانت ترى في منامها من تعلق قلبها به، وكان يُقال لها في المنام إن هذا هو زوجك، فأولعتُ محبةً، وقيل لها في الرؤيا إنه عزيز مصر،

فلما رَسَخَ في ذهنها هذا ، وتوالى الخُطَابُ عليها كانت ترد كل مَنْ يتقدم إليها ، حتى تقدّم إليها عزيز مصر ، وكان - فيما روى بعض الأخباريين وحكاه المفسرون - رجلاً عنيماً أي: لا يقدر على قرب النساء^(١) ، وكانت المرأة قد اشتهرت بجمالها فتقدّم لخطبتها ، فلما تقدّم لخطبتها وقيل لها: إن عزيزَ مصرٍ يخطبك للزواج منك ، وافقت وزُفّت إليه ، فلما وجدته غيرَ الذي رآته في المنام ، كتمتُ حسرتَها وتأثرتُها وغيظَها ، ومرت الأيام والليالي على هذه المرأة وهي في بيت العزيز تتجرع مرارة حسرتها لأنه ليس الذي تريد ، ولا يصلح أن يكون زوجاً ، ومرت الأيام عليها

(١) تفسير البغوي ٤٩٨/٢ ، دار إحياء التراث العربي .

تفسير القرطبي ١٦٠/٩ ، دار الكتب المصرية .

وهي تعلق نفسها بالمال والثياب والمظاهر والطيب وأنواع من اللهو الذي يعتاده النساء إذا جلسن ، وتكتنن ما بها ، فلا يعلم أحدٌ ما حالها إلا الله .

في طرف آخر من القصة ، أنجب سيدنا يعقوب على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أبناء ، كان منهم سيدنا يوسف وأخوه الشقيق بنيامين ، وكان لسيدنا يوسف في قلب أبيه المنزلة الكبرى ، فلما رأى إخوانه من أبيه ميله إليه تحركت نفوسهم ، واستثقلت ذلك حسداً أن تعلو منزلة يوسف عليهم .

❁ وقفة تأمل ..

ولو تأملنا لوجدنا أن المسألة من بدايتها ناتجة عن عبث النفوس بأهلها .



فامرأة العزيز مالت نفسها إلى الذي رأت في المنام، وعزيز مصر مالت نفسه فأقدم على أمرٍ لا ينبغي الإقدام عليه وهو غير قادر، ولكنه سعيًا في مراد نفسه فعله، وها نحن نرى هذا الأمر في إخوة يوسف.

✦ عود للقصة..

وجاءت المكيدة التي تعرفونها واستأذن إخوة يوسف من أبيهم أن يأخذوه معهم ليلعب، فقال لهم أبوهم مُلمحاً بالبصيرة التي أعطاه الله إياها ﴿قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنِّي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ﴾ [يوسف: ١٣] فقالوا إن الذئب لن يأكله وهم عصبية، وألحوا عليه حتى أذن لهم، وكانوا قد نواوا قتله، وتدخل أحد إخوته حين سمعهم

يأتَمرون ، والائتمار من شأن النفوس ، فقال: إن كان
 ولا بد أن تفعلوا هذا فلا تقتلوه ، ولكن ألقوه في
 البئر ، فأخذوه وألقوه في البئر وهو صغير في السن
 ورجعوا ، ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
 يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ
 لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ
 كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
 وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٧ - ١٨]

وهذا من فعل النفوس

الكيد .

المكر .

الكذب .

ثمرات نتجرع مرارتها اليوم ، ونجني نتائجها



مِن آثار لعب أنفسنا علينا ، وَمِن أقبح ذلك أن يحصل
ممن ينتمي إلى دين أو علم أو رتبة أو وظيفة أو
حُمِّل أمانة مسؤولية في حياته .

ومرت الأيام ، ومَرَّ المسافرون بالبئر وأدلى
واردهم بالدلو فأخرجوا يوسف وأخذوه وباعوه ،
ووصل سيدنا يوسف بتدبير الله تعالى إلى مصر ،
فأخَذَ إلى بيت العزيز وهو في ريعان شبابه ، فلما
رأت امرأة العزيز يوسف تذكرت ما رآته في منامها
واشتد بها الأمر واقترن ضجرها واستياؤها مِن
حالتها مع الزوج الذي لم ترضه ولا يصلح أن
يكون زوجاً لها مع ما تراه في سيدنا يوسف مِن
غايته التي كانت تراها في المنام ، والجمال الباهر
الذي تميز به . ولما بلغ أشده وهو سن الثالثة
والثلاثين اهتزت زليخة ، وتعلق قلبها به .

وهنا برز معنى آخر من آثار النفوس وعبثها
بأهلها إذا تعلقَت بشيء أو أرادت شيئاً.

الهوى..

عرف العلماء الهوى بأنه: ميل النفس إلى
الشيء، وأخطر ما يمكن أن يعصِفَ بالإنسان في
صلته بربه وفي حسن قيامه بمهامه في حياته لعب
النفوس وميلها وهو الهوى

إنَّ الهوى ما تولَّى يُصِمِّ أو يَصِمِّ ..

التميز ابتلاء..

التميز أحد ابتلاءات الله للنفوس ، وهذا شأن
ينبغي أن نقف معه وقفة تنبه وتدبر .

صور التميز في هذا الوجود مهما تنوعت



وتلونن وتعددت هي ابتلاءات يواجه الله بها نفس
 من ميّزه ونفوس من يحيطون به ويتعاملون معه .

فوجود المال عند الإنسان بلاءً من الله يبتلي
 به نفس الإنسان كيف يتصرّف فيه ، وبلاء للذين
 يحيطون به ، فهو بلاءً في حقّ نفس الإنسان ، هل
 تعبث بهذا المال الذي أعطيه على وفق ما تريد
 دون ارتباط بامثال بأمر الذي أعطاه ورزقه وابتلاه
 بهذا المال ، أو إنه يستشعر عظمة الصلة بالحق
 ﷺ فيعرف حقّ هذا التميّز الذي أنيط به فيؤدي
 حق الله في ماله .

وهو ابتلاء للذين يحيطون به ؛ أتهتز نفوسهم
 حسداً وحقداً واستياءً من رؤية هذا التميز ، أو تهوي
 وتسقط نفوسهم وتنحط في التعامل مع صاحب

المال لنيل نصيب من ماله ؛ فهو بلاءٌ لهذا ولذاك .
 والبلاء بجملته للمتميّز ولمن يحيطون به هو
 بلاء للمجتمع الذي يعيشون فيه ؛ المال ،
 والجمال ، والوجاهة ، والمنزلة بين الخلق ،
 والوظيفة ، والرتبة ، والذكاء ، والفهم ، والعلم ،
 كل هذه صورٌ للتميُّز ، وتأملوا أنها صور! أي إنها
 ليست بحقيقة التميُّز ، وإنما حقيقته: نتاج تعامل
 النفس مع صورة التميُّز ، فإذا أحسن الإنسان
 تعامله مع صورة التميز التي أنيطت به ؛ كان حُسنُ
 تعامله مع صورة التميُّز سبباً في نيله حقيقة التميز
 وثمرته ، وحقيقة التميز موصولة برضوان الله ﷻ .

ولكم عبرة إذا تأملتم ما حصل من خلق آدم
 ﷺ ، وما بدا في تلك القصة من مظهر امتزاج



الثمار الإيجابية والسلبية للتمييز في الوجود.

لما أوجد الله آدم ﷺ، وأمر الملائكة أن تسجد له، أبرز تميّزا لمخلوق جديد، لم يظهر له استحقاق بكثرة عبادة ولا بإتقان عمل، بل بمجرد إتمام خلقه وبعث الحياة فيه قيل للملائكة: اسجدوا، فهم لم يعرفوا شيئا من التمييز الذي ميز الله به هذا المخلوق، وإنما أمروا بالسجود.

لكن الملائكة لأنها لم تكن لهم نفوس تميل وتهوى أو تأمر بالسوء كان الأمر سهلاً عليهم، فسجدوا بغير تردد، وامثلوا أمر الله فنالوا نصيباً من هذا التمييز؛ لأن كل إحسان يحصل في التعامل مع صورة تمييز ينتفع به المحسن وقد لا ينتفع به صاحب صورة التمييز.

وإبليس لما كان نفساً خالصةً أمارَةً بالسوء في باطنها وإن حَسَنَ ظاهرها بكثرة العبادة؛ حتى قيل: إِنَّه ما مِن موضع شبر في الأرض إلا وقد سجد عليه إبليس لله تعالى، سجداً ظاهراً لم يستشعر حقيقته، وكان إبليس قد أُعطي صورة تميُّز بأن أُدخِلَ في زمرة الملائكة، وارتقى إلى رتبة المقربين، وسمي بطاووس الملائكة.

والملائكة لما أعطوا تميُّز القرب من الله تعالى وذاقوا حلاوة صورة التميز هذه كانت حقيقةً فيهم، فلما أمروا امتثلوا وثبتوا في القرب من الله، أما إبليس لما انطوت نفسه على الحسد، لم يسجد.





❁ أمهات الأمراض..

أمهات الأمر بالسوء في كل نفس ثلاثة أمراض :
الحسد ، والكبر ، والعجب ؛ هذه الأمراض الثلاثة
من أمراض النفوس والقلوب هي أمهات الأهواء
التي تنفعل بها النفوس فتخطيء أو تضيع أو
تضل .

الحسد: استثقال رؤية النعمة لدى الغير .

والعجب: شهود المنة للنفس ، فيقول أنا
فعلت كذا بدل أن يرى توفيق الله له .

وثمره العجب حصول الحسد ، وثمره الحسد
مع العجب حصول الكبر .

والكبر: الترفع والتعالي على من سواه واحتقاره .



وهي غير جائزة لأحدٍ من المخلوقين مهما كان، لا يجوز أن ترى لنفسك علواً أو رفعة على أحدٍ من الخلق لا بسبب دنيا ولا بسبب دين، أما بسبب الدنيا فالأمر ظاهر؛ لأن الدنيا ليست مقياس تميز، يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، وأما سبب صورة الدين؛ فلأن حقيقة الدين إذا وقرت في القلب ملأته تواضعاً لله وأدباً وخضوعاً وانكساراً، ولهذا فإنه إذا لم يتحقق بالدين خلا القلب عن هذه الثمرة فتكبر، والخواتيم مجهولة، ومهما استقام الواحد منا ومهما صلح حاله مع الله فإنه لا يعلم على أي حالة سيختم له، جاء في الحديث (فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة)،

وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا
يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ،
فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ^(١) فشان
الخواتيم مجهول وهو الذي أقض مضاجع
العارفين من الصادقين والصالحين، وأمر إبليس
بالسجود فتكبر فأبى، أولاً انبعث العجب بالنفس
(أنا) .. ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن
طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] شهود الأفضلية .

ثم ثار في قلبه الحسد ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ
طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] من هذا المخلوق الجديد
الذي لم نر فيه أي ميزة، والآن يقدم عليّ وأؤمر
بالسجود والخضوع له، وأنا الذي ما تركت شبراً

(١) صحيح البخاري، حديث ٣٢٠٨ .

في الأرض إلا وسجدت فيه .

إنه (الحسد)

وما بين العجب والحسد برز الكبر (أنا)

ولهذا لما عوتب بدلاً من أن يعتذر أصر ،
فلما طرد - بدلاً من أن يتوب ويبكي ويستغفر -
قال ﴿قَالَ فِعْزَتِكَ لِأَعْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] .

فأصبحت صورة تحدُّ أبرزها بمواجهة قبيحة
لربِّه بسبب أنه عاش على تبرئة نفسه دون أن
يزكيها ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ .

ووجد أبونا آدم ﷺ وأدخل الجنة ، لا ليخلد
فيها من أول مرة ؛ وإنما دخل الجنة ليتهاً فنهم
نحن هذا الدرس من وراء ما قضاه الله تعالى ،
وأمر أن لا يأكل من الشجرة فأزله الشيطان هو



وزوجته ، وأكلا من الشجرة ، وخرج بعد ذلك من الجنة ، فلما أُخرج وزوجه استشعر معنى الندم على التصير فلام نفسه وتاب وبكى وتوجه إلى الله تعالى واعترف ، واستقال ربه فأقاله وقبل توبته ، لكن إبليس أبى .

وجرى هذا الأمر بين ذريته بعد ذلك ، فجرت قصة هابيل وقابيل ، وتوالت الشؤون حتى وصلنا إلى يوسف وزليخة ..

لما نظرت زليخة إلى يوسف رأَت الجمال الذي تميّز به يوسف فولعت به ، وحانت لها فرصةٌ غاب فيها الزوج فغلقت الأبواب ودعته إلى نفسها فعصمه الله ﷻ وأبى ، فلما أبى الباطل وأراد الخروج أمسكت بثوبه حتى قدّت قميصه أي : قطعت هذا القميص وشقته ، فإذا بعزيز مصر

مقبلاً ، فلما رأى المنظر هالَهُ ذلك وأرادت أن تبرىئ نفسها .

وتأملوا أنها أرادت أن تبرىئ نفسها ..

والإنسان إذا حُرِمَ التوفيق في اتهام نفسه ليُهذَّبها ، وسعى في حياته لتبرئة نفسه الأمانة بالسوء محاولاً إظهارها في صورة الإحسان ، عظم مدى الجرائم التي يمكن أن تصدر عنه .

فلا تتعجبوا عند رؤيتكم الجرائم التي ترتكب اليوم في العالم على مستوى الأفراد أو الشعوب أو الأمم ، فإن مبتدأ كل جريمة في هذا الوجود يرجع إلى الفرد وإلى نفس الإنسان .. ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ ..

هذه المرأة لما شعرت أنها ستُفضح ، قامت



تؤلب زوجها على سيدنا يوسف وتستعديه ﴿قَالَتْ
مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥] .

وأخذت تحرّضه على السجن وتريده أن
يُجَلَدَ، وتكلم سيدنا يوسف بالصدق، وصاحب
الصدق مع الله ﷻ كلامه عليه سكينه الصدق وإن
أُسيء في حقّه، وهذا أيضا درس لنا كأفراد،
ودرس لنا كأمة؛ أَنَا إِذَا أُسِيءَ إِلَيْنَا نَدْفَعُ السُّوءَ
بِمَا أُبِيحَ لَنَا وَمَا اسْتَطَعْنَا، وَلَا نَجْعَلُ إِسَاءَةَ غَيْرِنَا
مَسُوغًا لِأَنَّ نَسِيءَ نَحْنُ أَوْ لِأَنَّ نَفْتَرِي أَوْ نَكْذِبُ
أَوْ نَخْرُجُ عَنِ الْحَقِّ .

لهذا قال سيدنا يوسف ﷺ: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي
عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٢٦] برأ نفسه بالحق، فأظهر

الله صدقه بنطق شاهد من أهلها ، قيل إنه رضيع .

✽ الرضع الذين نطقوا في المهده ..

صاحب جريج الراهب ، والطفل الذي كانت أمه ترضعه من بني إسرائيل فرأى المرأة التي تتهم بالزنا وهي بريئة ، والغلام الذي قال لأمه اقدفي بنفسك في النار في حادثة الأخدود ، وسيدنا عيسى المسيح وهو سيدهم ﷺ (١) ،

(١) عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « لم يتكلم في المهده إلا ثلاثة : عيسى ، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج ، كان يصلي ، جاءته أمه فدعته ، فقال : أجبها أو أصلي ، فقالت : اللهم لا تمته حتى تراه وجوه المومسات ، وكان جريج في صومعته ، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى ، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها ، فولدت غلاما ، فقالت : من جريج فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه ، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام ، فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال : =



وذكروا منهم هذا الذي هو من أهلها ﴿وَشَهِدَ

= الرَّاعِي، قالوا: نَبْنِي صَوْمَعَتِكَ مَنْ ذَهَبَ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا مِنْ طَيْنٍ. وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تَرْضَعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةِ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمصُّهُ، - قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمصُّ إصْبَعَهُ - ثُمَّ مَرَّ بِأُمَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّازٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الْأُمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتُ، زَنَيْتُ، وَلَمْ تَفْعَلْ» رواه البخاري، حديث ٣٤٣٦.

وفي حديث أصحاب الأخدود:
 «.. فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخذت وأضرم
 النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل
 له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌّ لها
 فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك
 على الحق». أخرجه مسلم في صحيحه، حديث ٣٠٠٥.



شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴿٢٦﴾ [يوسف: ٢٦] فكان من شأنه أن نطق بهذا البيان الذي يجمع بين الإعجاز وبين العقل؛ لنفقه أن ديننا يخاطب القلوب والعقول، فلو نطق هذا الرضيع وقال أنها هي التي راودت يوسف لحُسم الأمر؛ لأنها معجزة، لكن الإعجاز في ديننا تميّز بأنه لا يلغي العقل في الإنسان، فأقام الدليل العقلي بالتفريق بين قدّ القميص من قُبُلٍ أو من دُبُرٍ، فربط المسألة بالمنطق، فكان في هذا الشأن الذي ظهر في تلك اللحظة براءة يوسف، ولما كان العزيز يعلم من نفسه بأنه عنين، وأن الخطأ ابتداءً منه لم يعنّف وإنما اكتفى بالنصح، ومرّ الموقف.

ومرت الأيام وتسرب الخبر وتكلمت النسوة في المدينة ولمنّ امرأة العزيز كيف تراود غلامها



ومملوكها .. عن نفسه ، فثارت نفس زليخة .

وكل الذين لا يتهمون أنفسهم فيما بينهم وبين
الله في شؤون حياتهم يتخبطون وهم يشعرون أو
لا يشعرون .

إن الذي لا يقف على معايب نفسه ليسعى إلى
تزكيتها يعيش في وهم تبرئة النفس ، ويسعى جاهداً
لهذا ولو آذى غيره وأخذ حقوقه وتعدى عليه ، ولو
أهان نفسه بكذب أو ارتكاب ما لا ينبغي ، وهو
لا يبالي في ذلك كله .

فجمعت النسوة لتبرئ نفسها أمامهن فيما
فعلت ، وجعلت لكل منهن مُتْكَأ وآتت كل واحدةٍ
منهن سكيناً وثمرَةً ، قيل : التفاح ، وقيل : الأترج ،
مفرده : أترجّة ، وهو نبات طيب الرائحة طيب



الطعم، وقد شبه النبي المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأترجة^(١)، فلما أخذن السكاكين والفاكهة، أشارت ليوسف أن يدخل، فلما دخل يوسف انبهرن لجماله، وأخذن له، فجعلن يقطعن هذا الفاكهة فجاوزن حتى قطعن أيديهن وسال الدم منها ولم يشعرن بالألم لما أخذهن من الانبهار بطلعة سيدنا يوسف.

(١) عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيبٌ وطعمها طيبٌ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلوٌ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الریحانة، ريحها طيبٌ وطعمها مرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريحٌ وطعمها مرٌّ». صحيح البخاري، حديث ٥٤٢٧.



❖ ملحظ لطيف..

قال بعض أهل المعرفة بالله: لما كان حب زليخة ليوسف مربوطاً بشهوة النفس ولم يكن حياً للجمال خالصاً راقياً، صرفت الضرر إلى من ادعت محبته ولم تبال أن تضر من أحبت وادعت محبته، لأن صلته بها كانت صلة شهوة ولم تكن صلة ارتقاء في فهم الجمال. فالحب الخالص الراقى للجمال له اعتباره، لكن النساء لما نظرن إلى يوسف لم تكن نظرتهم نظرة المتأمل للشهوة، بل كان نظراً للجمال، كان الحب راقياً، فأثرن الإضرار بأنفسهن في نظرن إلى المحبوب.

أما هي فلما كان حبها مربوطاً بحظ النفس أضرت بالمحبوب عند الاضطراب، وهن لما

كان حبهن ليس للنفس فيه حظ أضرن بأنفسهن
ولم يطلبن الضرر بالمحجوب، وهكذا حظوظ
النفس إذا قامت في سائر شؤون الحياة.

ولما رأت نصرها عليهن على ما كان منهن،
وشعرت أن حجتها برزت أخذتها نشوة النفس
التي تريد أن تبرئها، فأبرزت إصرارها على
الباطل علناً، وكل من اعتقد زكاة نفسه وتبرئتها
بغير وجه حق واستشعر إحساس الناس بتمييزه
وبقدرته طغى؛ وهذا مُطَرِّدٌ في النفوس البشرية.

ولهذا كان من أمرها أن أعلنت وقالت: هذا
الذي لمتني فيه، ثم أعلنت ﴿وَلَيْنَ لَمَّا يَفْعَلْ مَاءَ امْرُؤٍ
لَيْسَ جَنَّتْ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢] تهدد
بالسجن، ما السبب؟ شعور النفس بتمييزها، وتوهم



إقامة الحجّة لنفسها أمامهن ، وليس لها حجّة ،
ومطلبها كان باطلاً .

وشعر سيدنا يوسف بهذه الفتنة التي تحيط به
فتوجه إلى ربه ﷻ ، وهناك فرق كبير بين من يتوجه
إلى الخلق لدعوى تبرئة نفسه وبين من يتوجه إلى
الخالق في طلب تبرئة نفسه ، ورجح السجن وأخبر
أنه أحبُّ إليه مما يطلبه ، وجعل الموقف كله
طلب ، مع أن التي طلبت واحدة ، لكن رأى في
الموقف مظهر طلب للباطل والسوء ، في اعتداد
هذه المرأة في نفسها بالباطل والسوء الذي تطلبه ،
وبدا للعزيز أن يقطع المقالة التي سرت في
مجتمعه ويسكت الأفواه فسجن سيدنا يوسف .





❖ يوسف ﷺ في السجن..

ودخل إلى السجن ولبث به زمنا، وآتاه الله الحكمة والنبوة، وأعطاه ما أعطى من تأويل الرؤى والفهم عن الله تعالى في سائر شؤونه، وحصلت القصة المعروفة من تأويله الرؤيا لصاحبيه: ساقى الملك ومقدم طعامه، أما ساقى الملك فبشره بالبراءة والخروج والعودة إلى خدمة الملك وسقايته، والآخر قال له أنه سيقتل، ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢].

قال بعض المفسرين: الشيطان أنسى سيدنا يوسف ذكر ربه فطلب ذلك، وهذا مرجوح؛ لأن سيدنا يوسف قد نال رتبة النبوة فالأليق بكمالها ما



رجحه آخرون من أهل التفسير: ﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ أي أنسى ذلك الساقى ذكر ربه، أي: الملك الذي يعمل عنده أن يطلب لسيدنا يوسف الإفراج عنه، ويقوي ذلك أن النسيان منه قوله تعالى في الآيات: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، ومرت السنوات، قيل: إنها سبع وقيل إنها أكثر^(١).

وحصلت الرؤيا المعروفة لذلك الملك بسبع السنبلات الخضر واليابسات، والبقرات العجاف والسمينات، من الذي يؤول هذه الرؤيا؟ وعجز من حوله ليرز الله أنه إذا أراد شيئاً أمضاه، كان من الممكن من بعض الكهنة أو الجلساء أو

(١) تنظر الأقوال في: تفسير الطبري، ١٣/١٧٢، دار هجر.

تفسير القرطبي، ٩/١٩٥، دار الكتب المصرية.

المتعالمين عند الملك أن يخترعوا أي تأويل
وينتهي الأمر، فكثيرٌ مَنْ يتخرسون في الإجابات
إذا سئلوا حتى لا يفقدوا منزلتهم عند الآخرين
والعياذ بالله! وهذا من شأن النفوس، فاعترفوا
بالجهل، فتذكر الساقى سيدنا يوسف وطلب
إخراجه من السجن فأُخرج، وأول الرؤيا،
ووقعت له منزلة عند الملك فولاه، وفي الوقت
الذي ولاه الملك كانت وفاة العزيز، فتولى مكان
العزيز أيضاً، سيدنا يوسف مر بتلك المراحل كلها
من رعاية الله له، ورأى تعامل الأنفس من حوله،
ابتداءً بإخوانه ومرورا بالذين أخذوه وباعوه بغير
حق ثم ما جرى ببيت العزيز ثم في السجن ثم
فيما حصل من الذين أول لهما الرؤيا.





❁ خطر الكذب في الرؤيا..

قيل: إنهما كذبا في الرؤيا، لكن لما قالوا: لم نر شيئا إنما كنا نلعب، أجاب: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(١) لهذا كان شنيعا أن يكذب الإنسان في الرؤيا (إن من أفرى الفرى أن يري عينيه ما لم تر)^(٢)، (من تحلّم بحلّم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل)^(٣).

وكان الأمر الذي مر على يوسف ثم إغفاله في السجن تلك السنوات ثم خروجه بريئا بعد الظلم الذي مر عليه هو من شؤون المعاملات مع النفوس، ووقف سيدنا يوسف مع الملك الذي

(١) تفسير الطبري، ١٣/١٦٧، دار هجر.

(٢) صحيح البخاري، حديث ٧٠٤٣.

(٣) صحيح البخاري، حديث ٧٠٤٢.

سأله ما بال النسوة، واستدعيت زليخة ورأت
الموقف أمامها، فلما رأت ما مكن الله به يوسف
ورأت ما حل بها من موت العزيز وخروجها من
أبَّهة الصلة بالملك، استشعرت الانكسار، وهو
الدواء لأمراض نفوسنا يا أهل الإيمان، نفوسنا
التي تطغى بظلمة الاستغناء ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ
طَٰغِيٌّ﴾ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٦﴾ علاجها: حصول الانكسار
للحق ﷻ، وعلى قدر وجود الانكسار في النفوس
والذلة لله تعالى يستبصر الإنسان ويُلهمُ البصيرة
ليعرف أين خطؤه؟ ويسهل عليه الرجوع إلى الله
فقالت ﴿الَّذِينَ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودُّهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾
وفي اللحظة التي أبرزت فيها خروجها عن ادعاء
تبرئة النفس.. في اللحظة التي برز فيها كمال
صدق سيدنا يوسف التقى الأمران فبرزت
المقولة.. ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾..



فعلى فهم أن القائل سيدنا يوسف ، درس لنا نتعلمه أنه - حتى في حين كوننا على الحق والصواب وخطأ غيرنا علينا - إذا حصص الحق أمامنا وعاد الحق لنا وانتصر لنا الله أن لا نعطي أنفسنا ما نريد ، لهذا قالوا من الخطأ في الصلاة بالله بل من الإساءة أن الإنسان إذا ظلم فانتقم الله من الظالم أن يشعر الإنسان بالنشوة ، انظر سبحان الله ! الله ما يترك أحداً ، ظلمني . . انظر كيف الله أراني العقوبة فيه . . سبحان الله ! هذه ما هي سبحان الله . . هذه صورتها سبحان الله وفي باطنها سبحان نفسي والعياذ بالله ! ما معنى سبحان نفسي أي : أنا شيء يستحق . . أنا شيء كبير ، لهذا لما أساء إلي حصلت له المصيبة لأنني صاحب اعتبار ، وهذا الباطل الذي لا ينبغي أن نقع فيه أبداً ، لهذا على



القول بنسبتها إلى سيدنا يوسف عليه السلام جاء الكلام مباشرة، لما أبرزت الاعتراف أبرز سيدنا يوسف أيضا اعترافا لربه ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ وهو درس ينبغي أن نفقهه..

وأما على القول بأنها هي فالكلام واضح في أن المؤمن إذا اعترف بالإساءة لا يبحث عن من يُحمّله الإساءة، كم حصل أن أحدنا قد أساء فعُرفت إساءته، فلما اعترف، قال: نعم.. أنا أسأت لكن فلان هو الذي عمل معي كذا وكذا، والسبب الظروف التي مرتت بها، والسبب أن المسألة كذا، وأن فلاناً تكلم علي، وهو الذي استشارني، وهو لما ظلمني أنا اضطررت، والمرتب كان قليلاً لهذا ارتشيت، وإذا به يبحث عن أعذار يعتذر بها لنفسه، وهذا مسلك باطل، من سلكه



لا يرجي له أن تتطهر نفسه حتى يتخلى عن هذا المسلك ، مع أن زليخة كان عندها نوع من العذر لم يكن عذرا كاملا ، الخطأ خطأ ، لكن كان عندها نوع من العذر ، هي كانت معلقة بيوسف بالحلم بالرؤيا التي كانت تراها ، وهي كانت مظلومة عند رجل لا يعطيها حقها من المعاشرة ، كان من الممكن أن تقول الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه ، لكن أنا أيضا مظلومة ، زوجي كان لا يقدر على إتيان النساء ، لم يكن يعطيني حاجتي ، لم يكن يكفيني ، أنا مظلومة ، أنا كنت رأيت يوسف ، وفوجئت أنه هو الذي رأيت في المنام ، ولها أن تعتذر ، لكن أنوار الحق إذا صحصت في القلب ارتقى الإنسان عن رتبة البحث عن المعاذير لنفسه وتبرئتها ، إلى رتبة صرف الأمر

إلى الله والاعتراف والانكسار ، فهذا قالت ﴿ وَمَا
أُبْرِيئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ .

✦ حصول الثمرة..

فماذا كانت الثمرة؟

أشرقت أنوار الإيمان على قلب زليخة ؛ فنالت
خير الآخرة التي كانت غافلة عنها ، وكانت راضية
بالدنيا دونها .

وما الذي حصل لسيدنا يوسف؟

أقبلت الدنيا خاضعة له .

تأملوا المعنى العجيب هذا! كانت متشبثة بالدنيا
وبشهوات نفسها ولو ارتكبت الظلم والكذب
والمخالفة وأعرضت عن الله ولم تذوق لذة الصلة



به تعالى ، فلما أن صدقت مع الله تعالى أعطاهما الشيء الذي كانت محرومة منه ، فنالت رضوان الله والقرب منه وذوق حلاوة الإيمان ، وسيدنا يوسف عليه السلام كذلك لما لم يبرئ نفسه ، وكان صادقا في صلته بربه ، أعطي الدنيا التي طالما حيل بينه وبينها ، وظلم فيها وحرّم من حقه فيها ، فجاءته الدنيا تحت قدمه وصار عزيز مصر وتولى مرتبة في الملك كبيرة ، والتقى الأمران ، زوج الملك سيدنا يوسف لهذه المرأة بعد موت زوجها ، ومرت الأيام بعد أن تزوجها سيدنا يوسف ، قيل تزوجها فوجدها بكرًا ، فكانت تأويلا لرؤياها التي رأت وهو العزيز في ذلك الوقت .

لكن . . العجب أن المرأة لما ذاقت حلاوة الصلة بالله ﷻ أنس قلبها بالله وذاقت روحها حلاوة



المواصلة من الله ومعنى المناجاة وقيام الليل وسقيت من كأس الصلاة، ذكر الإمام الغزالي في الإحياء حكاية حالها: لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى فراشه نهاراً فتدافعه إلى الليل فإذا دعاها ليلاً سوفت به إلى النهار وقالت: يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه فأما إذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلاً^(١).

المعروف عندنا في شريعتنا أن أخذ المرأة بخاطر زوجها في حاجته منها أفضل من قيام الليل بالنسبة لها، لكن المعنى الراقي هذا.. صارت بحيث يوسف يطلبها تقول له: لو تتركني لربي؟

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، ٤/٣٣١. دار المعرفة.



وذلك أنها عرفته ، فلما عرفته أحبته ، فلما أحبته اشتاقت إليه ، فلما اشتاقت إليه لم يبق محلا في قلبها لسواه فكانت الثمرة عندما أبرزت المعنى ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ أن الله اصطفها لرتبة الولاية والصديقة والقرب منه فنالت المنزلة العالية ، وكانت الثمرة لسيدنا يوسف استمرار الأمر حتى جاء إخوته وكانت القصة المشهورة ، ورتب الأمر حتى يأتي بأبويه ورفع أبويه على العرش فخر إخوانه سجدا له تعظيما له وكذلك أبويه ، وظهر تأويل رؤياه التي رآها في صغره أن الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا يسجدون له ، برز تأويل ذلك كما برز تأويل رؤياها أنها تتزوج من عزيز مصر الذي تطلبه ، فكانت السعادة خاتمة حياتهم في الدنيا ، وما يقبل عليهم من السعادة في الآخرة أكبر وأكبر .

❖ سورة يوسف فاكهة أهل الجنة..

وصار ذلك قرآنا يتلى ولا توجد قصة نبي في القرآن رويت متكاملة في سياق واحد إلا قصة سيدنا يوسف عليه السلام، بقية الأنبياء تجد قصة جزء منها هنا وجزء منها هنا، لأن الدلالة فيها على المقصود كانت وجها من الوجوه، أو جانبا من الجوانب، لكن لما كانت قصة سيدنا يوسف تتعلق بالنفس البشرية التي هي أساس الأمر بالصلة بالله وَجَعَلَهُ اللَّهُ مَكْتَمَلَةً، بل جاء أن أهل الجنة يتفكحون بسورة يوسف، أي: فاكهة أهل الجنة وتلذذهم وتنعمهم في تلاوتهم لسورة يوسف^(١)، وصلوا إلى الجنة من باب ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾

(١) تفسير البغوي، ٤٧٣/٢، دار إحياء التراث العربي.



وصلوا إلى الجنة بشأن الترقى في معاملة الله في ما يتعلق بالنفس .. وهذا الذي نحن وإياكم الآن أخرج ما نكون إليه أفرادا وأسرا وبلدانا وشعوبا وأمة بأكملها، مصائب الأمة .. ابتداء من البيت: مشاكل الزوج مع الزوجة الأولاد مع الأبوين والأبوين مع الأولاد .. الجار مع الجار .. الصاحب مع الصاحب .. الموظف مع رئيسه .. الرئيس مع موظفه .. التاجر مع العامل .. والتاجر التاجر .. والعامل مع التاجر .. والمحكوم مع الحاكم .. والحاكم مع المحكوم .. والكبير مع الصغير .. والصغير مع الكبير .. والشعوب مع بعضها البعض .. والأمم مع بعضها البعض .. خلاصة مصائب العالم وإشكالاته ترجع إلى ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ .



فإذا خرجنا من هذه الليلة ولنا فقه لحقيقة ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ فلا يدخلنَّ أحدنا بعدها في نزاع مع أحد ويغفل البحث عن وجه الخطأ الذي عنده، ولا يعملنَّ أحدنا عملاً دون أن يبحث وجه العيب الذي في عمله وإن أثنى الناس على عمله وإن برزت له فيه صورة نجاح، ولا يتلقينَّ أحدنا ميزة يكرمه الله بها دون أن يعبد الله بعبادة عظيمة وهي طلب التحقق بهذه الميزة، ومسلِك ذلك تهذيب النفس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ٩ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

الدعاء..

جعلنا الله وإياكم من أهل تزكية الأنفس ورقانا في مراتب معارف أنوار أسرار تجليات ﴿وَمَا أُبْرِئُ



نَفْسِيَّ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴿١٠١﴾ اللَّهُمَّ آتْ نَفُوسَنَا
 تَقْوَاهَا، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيهَا
 وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ أَحْيِ مِنْ قُلُوبِنَا مَا مَاتَ، وَرُدِّ
 عَلَيْنَا مِنْ هَدْيِ السَّنَةِ مَا فَاتَ، وَأَكْرِمْنَا بِكَمَالِ
 الثَّبَاتِ عَلَى حَسَنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، اللَّهُمَّ
 رُدَّنَا وَالْمُسْلِمِينَ إِلَيْكَ مُرَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ بَصُرْنَا
 بِعُيُوبِ أَنْفُسِنَا، وَأَعِنَّا عَلَى صِلَاحِهَا، اللَّهُمَّ بَصُرْنَا
 بِعُيُوبِ أَنْفُسِنَا وَأَعِنَّا عَلَى صِلَاحِهَا، اللَّهُمَّ بَصُرْنَا
 بِعُيُوبِ أَنْفُسِنَا وَوَفَّقْنَا إِلَى صِلَاحِهَا، اللَّهُمَّ إِنَّا
 نَظَهَرْنَا لَكَ عَجْزَنَا عَنْ إِصْلَاحِ أَنْفُسِنَا وَأَنْتَ رَبُّنَا
 وَخَالِقُنَا وَسَيِّدُنَا، إِلَيْكَ نَلْجَأُ وَعَلَى بَابِكَ نَقِفُ
 وَعَلَيْكَ نَعْتَمِدُ وَنَتَوَكَّلُ، وَلَيْسَ لَنَا غَيْرُكَ نَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ
 أَوْ نَتَوَلَّاهُ أَوْ نَطْلُبُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّا وَقُوفٌ عَلَى بَابِ
 إِحْسَانِكَ وَامْتِنَانِكَ، وَمَطْلِبُنَا رِضْوَانِكَ وَغُفْرَانِكَ،



اللهم انظر إلى قلوبنا فأحيها وطهرها ونورها ،
وانظر إلى أنفسنا وزكها ورقها وخذ بأيدينا إليك ،
إلهنا وسيدنا وخالقنا ومن إليه مصيرنا وبين يديه
يوم القيامة وقوفنا نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت
له الظلمات أن تمر علينا ليالي العمر وأيامه ونحن
على هذا الحال من الغفلة والإعراض ، اللهم
ارزقنا كمال الإقبال ، وبصرنا بما نرتقي به إلى
المراتب العوال ، ولا تحرمنا خير ما عندك لشر
ما عندنا ، اللهم إنا نشكو إليك أنفسنا وما كان
منها وما يكون ، وأنت القادر على إصلاحها
فألهمنا ما نصلح به أنفسنا ، اللهم أعنا عليها ولا
تعننا علينا ، اللهم وأغلق دون أنفسنا أبواب
الشياطين وأبواب محبة المنزلة بين الخلق
وأبواب الالتفات إلى الدنيا والتعلق بها ، اللهم



خلص قلوبنا من محبة الدنيا، وأرنا الدنيا بالعين
التي أريتها عبادك الصالحين، واجعل الدنيا في
أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا، اللهم أفرغ قلوبنا
لك، نزه قلوبنا عن من دونك، واجعلنا من قوم
تحبهم ويحبونك، اللهم إنا نشكو إليك تشبث
أنفسنا في الدنيا والتفاتاتها إليها ونشكو إليك
المعاصي والذنوب، وأنت الذي تقبل وترحم
وتغفر وتعفو وتحسن وتتوب، يا مقلب القلوب
والأبصار ثبت قلوبنا على دينك، اللهم إنا نسألك
ثباتا على الرشد، وعصمة في الأمر، ودفعا
للسوء، وإقبالا عليك، ووفاء بعهدك، وقيامًا
بحقك، وذلة بين يديك، وعزة بك، وافتقارا
إليك، وغنى بك، اللهم إنا نسألك معرفة بك
تفتح لنا بها عين البصيرة، وتنقي بها السريرة،



وتقوم بها السيرة، وتكرمنا بعباءاتك المتوافرة،
حتى نصبح ونمسي والأعين بفضلك قريرة،
اللهم لا تحرمنا خير ما عندك لشراً ما عندنا، اللهم
إن أنفسنا تغلبنا وتغالبننا على شئون نحن نعلم أن
الخير في مخالفتها فيه، ونحن أيضاً نعلم من
أحوالنا العجز والضعف أمام هذه الأنفس، ونرى
من شئون حياتنا ما تسلط به أنفسنا علينا، نسألك
اللهم نظرة منك، اللهم نظرة منك اللهم نظرة
منك فإنك إذا نظرت أحيت القلوب، نسألك
نفحة تنفح بها هذا المجلس ومن يسمع، اللهم
أكرمنا بنفحة إفضال، اللهم إن نبيك سيدنا محمد
قد شوقنا إلى جودك وكرمك، فقال: (إن لربكم
أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها) إلهنا وسيدنا
أما صورة التعرض هذه فقد أقيمت، ولولا فضلك



وإحسانك ما قامت ، فنسألك يا من أكرمنا بصورة
التعرض للنفحات أن تكرمنا بحقيقة تعرض قلوبنا
بحسن المقابلة ، وأن تكرمنا بنفحة تنفح بها قلوبنا
حتى تقطع تعلقها بمن سواك والتفتاتها إلى من
عداك ، يا أكرم من سئل وأجود من أعطاء وما
بخل ، إن لم تعطنا فمن يعطينا وإن لم تكرمنا فمن
يكرمنا وإن لم تفتح لنا الباب فعلى باب من نقف
ومن نطلب ؟ لا ، وعزتك ليس لنا رب غيرك
فندعوه ونسأله ، وليس لنا إله سواك ، لا ملجأ ولا
منجى من الله إلا إليه ، يا إلهنا وسيدنا أنقذنا من
أنفسنا ، أعتقنا من رق أنفسنا الأمانة بالسوء .
يا غياث المستغيثين يا غياث المستغيثين يا درك
الهالكين يا إله العالمين يا الله يا رباه يا غوثاه
يا من لا يدعى بهذا الاسم أحد سواه انظر إلى



أمة سيدنا محمد نظرة تصلح بها ما فسد وتطهر
بها باطن الروح وظاهر الجسد ولا تكلها إلى أحد
اللهم ارفع مقتك وغضبك عن الأمة ، اللهم ارفع
مقتك وغضبك عن الأمة ، اللهم إنا وإذ نسألك
الفرج لنا وللأمة نقر لك أن ما نزل هو مما جنته
أيدينا ، لكن يا سيدنا ويا خالقنا ويا مولانا ليس
لنا باب سواك نقف عليه ، وليس لنا رب إلاك
نؤمله فإن لم ترحمنا فمن ذا الذي نسترحم؟! يا
أرحم يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين فرج
على المسلمين ، اللهم ارحم الأطفال الرضع
والشيوخ الرقع والشباب الخشع والبهائم الرقع ،
اللهم هيئ لهذه الأمة أمر رشديعز فيه أهل الطاعة
ويتاب فيه على أهل المعصية ويذل فيه من لم
تسبق لهم سوابق التوبة ، واجعلنا من أنفع الأمة



للأمة وارحم الأمة بالأمة وأبرك الأمة على الأمة ،
 وابسط بسط الهداية والرشاد، والخير في هذه
 البلاد، واجعلها آمنة رحية واجمع قلوب أهلها
 على صدق الإقبال عليك، واجعل نعمك التي
 خولتهم إياها زيادة لهم في رضوانك، اللهم ووفق
 ولاة الأمر البلاد لحسن إقامة ما يرضيك عنهم
 وأعنهم على ذلك وسدد خطاهم فيما هنالك
 ووقفهم إلى أمر يحسن وقوفهم به بين يديك ساعة
 العرض عليك، اللهم واجعل لهم بطانة سالحة
 تدلهم على الخير، وادفع عنهم بطانة السوء
 والضير، وسائر أولاة أمور المسلمين، اللهم اجمع
 كلمة علماء المسلمين واجمع شملهم ووحد
 صفوفهم ونقي قلوبهم واخرج محبة الدنيا من
 القلوب، يا الله، أخرج محبة الدنيا من القلوب،



يا الله ، أخرج محبة الدنيا من القلوب ، يا الله ،
أخرج محبة الدنيا من القلوب ، يا الله ، وألهم هذه
الأمّة هدايتها إلى ما أردته منها ، وكن لها وليا وبها
حفيا ، وارحم من تقدم من أمواتنا وأموات هذه
البلاد ، وأموات المسلمين يا جواد ، ارفع العذاب
عن المعذبين من أهل القبور ، وارحمنا إذا صرنا
إلى ما صاروا إليه يا غفور يا شكور ، واجعل آخر
كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بحقائقها متحققين
حسا ومعنى ظاهرا وباطنا وإذا أكرمت خواص
المحبوبين لديك بالاقتراب منك وذوق حلاوة
الصلة بك ومناجاتك ودلتهم على ما يوصلهم
لمراتب المقربين فلا تحرمنا يا أكرم الأكرمين ،
أكرمنا بجودك وفضلك يا كريم ، وصل اللهم



وسلم وبارك وكرم وعظم على سيدنا ومولانا
وحبيبا وقرّة أعيننا ونور قلوبنا وباب فتوحنا
وأصل منوحنا ومسلك هدايتنا وإرشادنا سيد
الخلق سيدنا محمد، صلاة تكون لك رضا ولحقة
أداء وآته الوسيلة والفضيلة والشرف والدرج
العالية الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي
وعدته، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم اجز
عنا سيدنا محمد خيرا، واجمعنا به في الدنيا
والآخرة، وأسكننا بجواره المنازل الفاخرة،
وارزقنا النظر إلى وجهك الكريم وأنت راض
عنا، يا أكرم الأكرمين، وصلى الله على سيدنا
ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ
رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾ الفاتحة.



الفهرس

الموضوع	الصفحة
اختلاف أهل العلم باب لسعة الفقه	٦
الاضطراب في الصلة بالنص يرجع للهوى	٨
بداية القصة	١٠
وقفه تأمل	١٢
عود للقصة	١٣
الهوى	١٦
التميز ابتلاء	١٦
أمهات الأمراض	٢١
الرضع الذين نطقوا في المهد	٢٨



الصفحة

الموضوع

٣٣	ملحظ لطيف ..
٣٦	يوسف <small>عليه السلام</small> في السجن ..
٣٩	خطر الكذب في الرؤيا ..
٤٤	حصول الثمرة ..
٤٨	سورة يوسف فاكهة أهل الجنة ..
٥٠	الدعاء ..
٦١	الفهرس ..



دار الفقيه
للدراسات والبحوث
DAR AL FAQIH
RESEARCH & STUDIES



مؤسسة طابه
Tabah Foundation
www.tabahfoundation.org

مبادرة تزكية وعمارة هي إحدى مبادرات مؤسسة طابه للأبحاث والاستشارات

www.tazkiyah.net



facebook.com/TAZKIYAHNET



twitter.com/@TAZKIYAHNET



youtube.com/TAZKIYAHNET



instagram.com/TAZKIYAHNET